

نماذج تعبيرية

في لهجة "بشار" وسبل ترقيتها

أ.د: عبد القادر سلاّمي
جامعة أوبكر بلقايد - تلمسان

الملخص:

تملك الجزائر، على غرار الدول العربية، كفاءات علمية سخرت جهودها لخدمة اللغة العربية إن في التأليف وإن في إنشاء المخابر لدراسة اللهجات، قصد تطوير مناهج البحث فيها وذلك على النحو الذي يسعى إلى تحقيقه "مخبر اللهجات ومعالجة الكلام (ل.م.ك)" بجامعة وهران بإشراف الأستاذ الدكتور: مكّي دزار المحترم.

وتسعى المداخلة التالية إلى الوقوف على بعض التعابير اللهجية المستعملة في لهجة "بشار" ونواحيها، بوصفها مثالا للتعدد اللّهيّ في الجنوب الغربي الجزائري ، وذلك بما يُسهّل عملية ربطها بأصولها وخلفياتها الثابتة لانطلاقها، محاولين بلطف الصنعة والتأويل ربط العامي منها بالفصح من لغة العرب.

مقدمة:

نستعرض في هذا التقديم المصطلحات ذات الصلة بموضوع البحث، وهي: اللغة واللهجة والعلاقة بينهما، وما يعتري ذلك من تداخل بين اللغة واللسان والكلام.

اللغة:

اللغة "فُعْلَةٌ من لَعَوْتُ، أي تكَلَّمْتُ، وأصلها: لُغُوَّةٌ... وقالوا فيها لُغَاتٌ ولُغُونٌ... وقيل منها: لَغِيٌّ يلغى: إذا هذى، ومصدره: اللَّغَا... وكذلك اللَّغُو، قال سبحانه وتعالى (وإذا مرؤا بالَّلغو مرؤوا كراماً)¹، أي بالباطل، وفي الحديث: (من قال يوم الجمعة: صَهْ، فقد لغا)²، أي تكَلَّمَ³.

أما حدّها، فقد عرّفها ابن جني (ت 392 هـ) بقوله: "هي أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم"⁴. فأكدّ بذلك الطبيعة الصوتية للغة، ودلّ على أنّها ظاهرة اجتماعية، لا يتوقّف على إحداثها واضح معيّن، وإنّما نشأت بسبب حاجة الإنسان إلى التعبير والتفاهم مع بني جنسه. أما عند المحدثين، فهي مجموعة من اللهجات التي تنتمي إلى بيئة معينة⁵.

اللهجة:

جاء في المقاييس: اللّام والهاء والجيم: أصل صحيح يدلّ على المثابرة على الشيء وملازمته، والأصل آخر يدلّ على اختلاط في الأمر. يقال: لَهَجَ بالشيء: إذا أُغْرِيَ به وثابر عليه وهو لَهَجٌ. وقولهم: هو فصيح اللّهجة، واللّهجة: اللسان بما ينطق به من الكلام، وسمّيت لهجة: لأنّه كلّاً يَلْهَجُ بلغته وكلامه. والأصل الآخر قولهم: لَهَوْتُ عليه أمره: إذا خلطته⁶.

أما من حيث الاصطلاح، فاللهجة تسمّى العامية أو المنطوقة أو المحكية أو المحلية أو الدّارجة، وهي "اللسان الذي يستعمله عامّة الناس مشافهة في حياتهم اليومية لقضاء حاجاتهم والتفاهم فيما بينهم"⁷. فهي اللهجة اليومية العفوية المكتسبة في السنوات الأولى للإنسان والتي يستعملها في تعاملاته العامّة، وتختلف من منطقة إلى أخرى في سائر البلدان.

واللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث: مجموعة من الصفات اللغوية التي تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة⁸.

علاقة اللغة باللهجة :

هي علاقة بين العام والخاص؛ لأنّ اللغة تشتمل على عدّة لهجات لكلّ منها ما يميّزها، وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية والعادات الكلامية التي تؤلّف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات.⁹ ومما لا ريب فيه أنّ اللهجة متفرعة عن اللغة المشتركة ومتأثرة بها وإن كانت تشويها أو تحريفا لها".¹⁰

هذا، وتعدّ "دراسة اللهجات من أحدث الاتجاهات في البحوث اللغوية، وقد نمت هذه الدراسة في الجامعات الأوروبية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين حتى أصبحت عنصراً هاماً بين الدراسات اللغوية الحديثة"¹¹، ذلك لأنها تُسهم في تفهّمنا لطبيعة اللغة، وتبيّن مراحلها التاريخية وتأثير البيئة والأزمة في أصواتها وصرفها وبناء الجملة والمستوى الدلالي فيها.

وما ينبغي التنبيه إليه أنّ اللهجات العربية قديماً كانت قريبة من اللغة الفصحى في خصائصها ومميّزاتها بخلاف بعض الفوارق الصوتية مثل عنعنة تميم - التي تبدل فيها الهمزة عينا، وفحفة هذيل، بإبدال صوت الحاء عينا، وتلتله بهراء بكسر حرف المضارعة وغيرها¹² وحينئذ أمكن تسمية اللهجة لغة، ولكن بمرور الزمن واختلاط العرب بغيرهم من الأعاجم، نتجت لهجات أخرى ضمّت كلمات فصيحة وأخرى معربة وثالثة دخيلة، ممّا وسّع الهوة بين اللغة الفصحى واللهجة، وتعدّرت تسمية الثانية بالأولى، وأصبحت أقرب إلى العامية منها إلى الفصحى. وكلّما تقدّمنا في الزمن اقتربت العامية من الدارجة وابتعدت عن الفصحى، واستحال تسمية كليهما باللغة لافتقادهما لخصائص العربية وتمييزهما بخصائص أخرى.

الجانب التطبيقي :

إذا كانت المعطيات السابقة تصب في أغلبها في محاولة فكّ التعاضل الاصطلاحي القائم بين اللغة واللهجة، فإن أمر التداخل النظري الذي يطفو على سطح هذه المحاولة أو تلك لا يمكن إلا أن يردف بعمل تطبيقي يظل محكاً لا مناص من الاحتكام إليه إنصافاً أو نقداً. فلا بأس

والحال هذه أن نتناول بعض الأساليب التعبيرية التي تلمح بها الألسنة في منطقة بشار ونواحيها والتي تتصل بالفصحى بسبب في وذلك قبل الانتهاء إلى نتائج نعتقد أنها ليست نهائية، وإنما تكون فاتحة لبحث سيلجه كثير من المشغلين في حقل الدراسات اللغوية واللهجية.

بشار: التاريخ والجغرافية:

اسمها التاريخي " تدممنت. أما بشار، فنسبة إلى Colomb Bechar الحاكم المدني في العهد الاستعماري. وهي ولاية في الجنوب الغربي الجزائري عدد سكانها: 134.954 نسمة. وتضم عدة دوائر منها : دائرة بني ونيف ، ودائرة العبادلة ودائرة بني عباس ودائرة القنادسة التي تبعد 19 كيلومتراً عن مقر الولاية مسقط رأس الباحث.

-أساليب تعبيرية في لهجة بشار ونواحيها :

1-يزينا من الهدور:

يزينا : بمعنى حسينا أو يكفينا ومن جازة والهدور ، ومرادفه: الهدرة، أي: الكلام دون طائل. والتقدير : إيهاب بالكف عن الكلام الذي لا طائل من ورائه. "قال الخليل (ت 175هـ): الأثر: حمل الإنسان على الأمر برفق واختيال"¹³ أما الهدر: الهادر ، أي الساقط وهم هدر: ساقطون ليسوا بشيء. والهدرة: ما يبطل من دم وغيره، هدر يهدر ويهدر هدرًا وهدرًا، وهدرته لازم متعلٍّ وأهدرته فعل وأفعل بمعنى. ويقال: ذهب دمه هدرًا : ليس فيه قود ولا عقل.¹⁴ فإن ما ينطبق على "الأسقاط من الناس لا خير فيهم"¹⁵ ينطبق على الساقط من الكلام الذي يعدُّ ثرثرة لا فائدة من ورائها لذا ،وجب الكف عن إتيان ذلك.

2- هادي مجية الطنزة:

هادي: هذه، ومجية: مجيء، والطنزة: ، وهي من "الطنز": أي السخرية، يقال: طنز به فهو طنَّاز، وهم مطنَّزة: لا خير فيهم هيئة أنفسهم عليهم ، وطنزة: قرية¹⁶، وعلى هذا، فعبارة "هادي مجية

الطَّائِرَةُ" تنبئ عن استخفافٍ بَيْنٍ أو إخلالٍ بشروط الاستضافة أو بمواعيد هامة، وهو ضربٌ من السُّخرية كما ترى.

3- اللُّوذ المَرْغُوبَةُ:

اللُّوذ: تصغير "مِلوذة"، وهو اسم عَلَم، منقلب عن "مَوْلُودَة، من حيث قلبت الواو المفتوحة ياءً وكسر ما قبلها للمجانسة. أما المَرْغُوبَةُ، فيقصدُ بها إلى حاملة هذا الأسم وتأتي أعمالاً شيطانية أو أصابها حظٌ سيء لا تُحسدُ عليه، والمَرْغُوبَةُ: وقع عليها فعل "الرَّغْبَةُ"، ولها أصلٌ في اللغة موجود، وهي "دُوبَةُ كالفأر، وبلا لَامٍ: حِمَاؤُ لَجْرِيرِ الشَّاعِر... والرَّغْبُوبُ: القصير".¹⁷ وفي عُرْفٍ لهجتنا نقول: كلُّ منقوص منحوس، لذا كان القصِرُّ دليل نحسٍ، "فرغَبَ وازغَابَ وأخذهُ بَرغَبِه محرَّكَةً: بحدَّثانه"¹⁸، والحدَّثَانُ: دليل طيشٍ. فوجب الإقرار بأن لحقته لعنة الشَّيْطَان حدائهُ ونَزَقاً.

4- "مَا شِي مُحَمَّدُ اللَّيِّ كَانَ يَبْكِي أَوْ كَيْبَكِي":

في حالة ما إذا كان المنفي اسماً ظاهراً مخبراً عنه بجملة الصلة، فإنه ينفي بالأداة "ماشي" التي تصدّره تليها "اللي" بمعنى "الذي"، بينما يبقى التركيب "يبكي" على حاله أو متصدراً بالضمير المتصل بالعنصر المساعد "ك" المختزل لوجه شبه قائم في "كَمَنْ"، يتناسب مع المخبر عنه: "مَا شِي مُحَمَّدُ اللَّيِّ كَانَ يَبْكِي أَوْ كَيْبَكِي"، وهو ما يمكن رده بلطف الصنعة والتأويل إلى الفصحى بالقول: "لم يكن محمد يبكي أو باكياً أو الباكي" إخباراً أو حالاً أو وصفاً.

وإذا كان لنا أن نبدي رأياً ف ما تيسر لنا من نماذج فإننا نقول: إن هناك علاقة وطيدة بين الفصحى واللهجة البشارية، يمكن أن تلخص في:

أ- إن الوحدة المعجمية قد تتكرر في كل من الفصحى واللهجة البشارية، محتفظة بالمبنى والمعنى نفسيهما.

ب- قد تحتفظ واللهجة البشارية بالوحدة المعجمية، مع شيء من التغيير يطرأ بعض الحركات فيها، بالنقل أو الحذف أو الإشباع أو التبديل.

ج- وقد يطرأ تغيير في أصغر وحداتها غير الدالة، وقد يختلف نطق هذه الفونيمات، عن مثيلاتها الفصيحة.

د- وقد يطرأ تغيير في الوحدة المعجمية مطلقاً، مع احتفاظها بالمعنى وقد يصيبها تغيير يمس المعنى والمبنى معا.

الخاتمة:

من خلال بحثنا في الأساليب التعبيرية بمنطقة بشار ونواحها مما توافر لنا من مصادر ومراجع، توصلنا إلى نتائج نجملها فيما يلي:

إنّه على الرغم من طغيان العامية على المجتمعات العربية الفصحى، فإن الفصحى ما تزال تشدّ بطرف اللغة التواصلية، نظراً إلى كونها لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والتي تُسهم بشكل واسع وكبير في الحفاظ على علاقة الإنسان العربي بأصوله اللغوية، فالعامية ما يزالون يتقربون من أسباب العلم ووسائله، ووجدنا أثر هذا الاقتراب في لغتهم التي ابتعدت عن الركافة ونشأت لغة وسطى بين العامية والفصحى وإن بعدت عن الإعراب، بما يحقق سهولة نطقها، أما من حيث المضموم فقد حققت جلّ التماذج التعبيرية التي درسناها في عامية بشار أغلب جذورها العربية وما شدّ فيها أمكننا الرجوع به إلى المعاجم اللغوية، ورده بلطف الصنعة والتأويل إلى الفصحى، أو لنقل اللغة العربية المشتركة، الأمر الذي أوقفنا على ما اعتري بعضها من طوارئ، أدّت إلى اختفاء بعض الألفاظ لتحل محلها ألفاظ أخرى، أو نيابة ألفاظ عنها من باب الاختزال، دون أن تكون الفصحى في كل مرة عاجزة عن تعريب العامي أو تعديله بما يوافق سنن العرب في كلامهم وبما يحفظ للعاميات ومنها العامية البشارية أصولها، ويصونها من الدخيل الذي سرعان ما يعدل عنه إلى فصيح وقر في لغة العرب من قبيل التريث في إيجاد المكافئ الأنسب له، والذي ما تزال معاجم اللغة العربية وكتبتها تحفل به.

أما ما كان حقّه أن يتصدّر النتائج العامة فهو:

إن اللغة العربية من أطول اللغات عمرا ومن أقدمها تاريخا، واحتكاكها منذ القدم بلغات أخرى دليل على حياتها وبقائها، والسؤال الذي يعرض أول هذا الحديث هو: هل كانت اللغة العربية لهجات مختلفة ثم وحدت بعد ذلك في لغة واحدة أم أنها كانت لغة واحدة تفرغت بعد ذلك إلى لهجات؟

إن علماءنا القدماء استعملوا مصطلح "اللهجة"، على النحو الذي نعرفه في الدرس اللغوي الحديث، وإن كانوا قد استعملوه في كتبهم، فجعلوه مرادفا للغة علما أن هناك من يزعم بأن العربية لغة ميتة وغير صالحة لأن تكون لغة حضارة للأدب والعلوم والفنون، فلا غرابة أن يحاربها أعداء العروبة والإسلام للانتقاص منها، فدللنا على عراقتها وصمودها أمام الخطر اللّهي المٌهدق بها، ما لم تجد اللهجات المحليّة سُبلاً إلى ترقيتها، وردّ العامي فيها إلى الفصحح إحداها.

المصادر والمراجع:

- *** القرآن الكريم.
- * إبراهيم، أنيس: في اللهجات العربية ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، 1965م.
- * ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، ط2 مصورة، بيروت، 1950م.
- * ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا: - الصّاحي في فقه اللغة العربيّة ومساثلها وسنن العرب في كلامها ، تحقيق عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط1/1414هـ-1993م.
- معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون دار الفكر.
- * البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، مطابع الشعب، القاهرة، 1378م.
- *-الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود: أسرار البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط1، 1419 هـ- 1998م.
- * الصالح، صبيح: دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1983، 5م.
- * الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت.
- * محيسن محمد سالم: المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية، مكتبة القاهرة، ط1، 1978م.
- * معروف، نايف: خصائص العربية وطرائق تدريسها، دار النفائس، ط1، 1985، 1م.
- * النسائي، أبو عبد الله عبد الرحمن بن شعيب: سنن النسائي (ومعه زهر الربى على المجتبى لجلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي)، مطبعة البابي الحلبي، مصر، 1964-1965م.

هوامش البحث:

1. الآية 72 من سورة الفرقان.
2. البخاري : صحيح البخاري، 6/2 والنسائي : سنن النسائي، 84/3.
3. ابن جني : الخصائص، 32/1.
4. المرجع نفسه، 33/1.
5. محيسن محمد سالم : المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية، ص 7.
6. ابن فارس : معجم مقاييس اللغة، 5/ 214-215، مادة (لهج).
7. نايف معروف : خصائص العربية وطرائق تدريسها، ص 55.
8. محيسن محمد سالم : المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية، ص 7.
9. المرجع نفسه، ص 7.
10. صبيحي الصالح : دراسات في فقه اللغة، ص 360.
11. إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية ، مقدمة الطبعة الأولى ، ص5.
12. وقد سماها ابن فارس "اللغات المذمومة" : الصّاحبي في فقه اللغة، ص 56-57، وينظر: عبد القادر عبد الجليل : الأصوات اللغوية، ص 132-135.
13. ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، 13/1، مادة (أز).
14. ينظر: الفيروزآبادي: القاموس المحيط، 2/165، مادة (الهدر) وإبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، 2/977، مادة (هدر).
15. إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، 2/977، مادة (هدر).
16. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، 1/187، مادة الطَّنْز) وينظر: الزمخشري: أساس البلاغة، ص 397، مادة (طنن).
17. الفيروزآبادي: القاموس المحيط ، 1/82، مادة (الزَّغَب).
18. المرجع نفسه، 82/1، مادة((الزَّغَب)).